سيكيولوجية الجماهير

الفصل الأول

الخصائص العامة للجماهير

القانون النفسي لوحدتها النفسية

ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد يشكل الخصيصة الأولى للجمهور الذي هو في طور التشكل، فالجمهور النفسي هو عبارة عن كائن مؤقت مؤلف من عناصر متنافرة ولكنهم متراصو الصفوف للحظة من الزمن، إنهم يشبهون بالضبط خلايا الجسد الحي التي تشكل عن طريق تجمعها وتوحدها كائناً جديداً يتحلى بخصائص جديدة مختلفة جداً عن الخصائص التي تمتلكها كل خلية، فأفراد عرق ما يتشابهون خصوصاً بواسطة العناصر اللاواعية التي تشكل روح هذا العرق، و يختلفون عن بعضهم البعض بواسطة العناصر الواعية الناتجة عن التربية ثم بشكل أخص عن الوراثة الاستثنائية، والبشر الأكثر اختلافاً وتمايزاً من حيث الذكاء لهم غرائز وانفعالات وعواطف متماثلة أحياناً، والرجال الأكثر عظمة وتفوقاً لا يتجاوزون إلا نادراً مستوى الناس العاديين في كل ما يخص مسائل العاطفة من دين وسياسة و أخلاق وتعاطف وتباغض، الخ ... فمثلاً ممكن أن توجد هوة سحيقة بين عالم رياضيات شهير وصانع أحذية على المستوى الفكري، ولكن من وجهة نظر المزاج والعقائد الايمانية فإن الاختلاف معدوم غالباً، أو أقل إنه ضعيف جداً، فحالة الفرد المنخرط في الجمهور تشبه حالة المنّوم مغناطيسياً، بمعنى أن بعض ملكاته تصبح مدمرة، في حين أن بعضها الآخر يستثار ويستنفر إلى الحد الأقصى، فبما أن المحِّرض هو واحد بالنسبة لكل أفراد الجمهور، فإنه يتضخم ويكبر عن طريق التبادل، وأفراد الجمهور الذين يملكون شخصية قوية جداً تمكنهم من مقاومة المحِّرض هم ذوي عدد ضئيل وبالتالي فإن التيار يجرفهم معه، وكل مايستطيعونه هو محاولة تحويل الأنظار باتجاه آخر عن طريق تقديم اقتراح مختلف، وأحياناً تجيء كلمة في الوقت المناسب أو تثار صورة معينة فتحول الجماهير عن اقتراف أبشع الأعمال الدموية، ومنه نجد أن الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور هي: تلاشي الشخصية الواعية، هيمنة الشخصية اللاواعية، توجه الجميع ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار، الميل لتحويل الأفكار المحِّرض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة، وهكذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنما يصبح عبارة عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده.

الفصل الثاني

عواطف الجماهير و أخلاقيتها

:الخصائص الأساسية لدى معظم أنواع الجماهير هي

1 .**سرعة انفعال الجماهير و خفتها ونزقها:** المحرضات القادرة على تهييج الجماهير متنوعة ومتعددة، وبما أن الجماهير تنقاد لها دائماً، فإننا نجدها حيوية ومتحركة إلى أبعد حد، فنحن نجدها تنتقل في لحظة واحدة من مرحلة الضراوة الأكثر دموية إلى مرحلة البطولة المطلقة ، فلا شيء متعمد ومدروس لدى للجماهير، فهي تستطيع أن تعيش كل أنواع العواطف وتنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة البرق وذلك تحت تأثير المحرض السائد في اللحظة التي تعيشها، والجمهور ليس فقط انفعالياً ومتقلباً، وإنما هو كالإنسان الهمجي لا يعبأ بأي عقبة تقف بين رغبته وبين تحقيق هذه الرغبة، فالإنسان المعزول يعرف جيداً أنه لا يستطيع أن يحرق قصراً أو ينهب مخزناً، وبالتالي فإن مجرد التفكير بذلك لا يخطر على باله، ولكنه بمجرد انخراطه في الجمهور حتى يحس بالقوة الناتجة عن العدد والكثرة، وفي أي فرصة تسنح للقتل أو النهب فإنه ينصاع فوراً ولا يتردد في اقتراف ذلك، وكل عقبة مفاجئة تعترض طريقه يكسرها بجنون مسعور.

2. سرعة تأثر الجماهير وسذاجتها وتصديقها لأي شيء: إن الحمهور يشرد باستمرار على حدود اللاشعور ويتلقى بطيبة خاطر كل الاقتراحات والأوامر، كما أنه مليء بالمشاعر الخاصة بالكائنات غير القادرة على الأحتكام للعقل ومحروم من كل روح نقدية، وبالتالي فهو لا يتسطيع إلا أن يبدي سذاجة وسرعة تصديق منقطعة النظير والمستحيل غير موجود بالنسبة له، ويبغي التذكير بذلك من أجل أن نفهم كيف تخلق الأساطير والحكايات الأكثر غرابة وشذوذاً، وكيف تشيع وتنتشر بسهولة، فالحدث الأكثر بساطة يتحول إلى حدث آخر مشوه بمجرد أن يراه الجمهور، فالجمهور يفكر عن طريق الصور، والصور المتشكلة في ذهنه تثير في دورها سلسلة من الصور الأخرى بدون أي علاقة منطقية مع الأولى، والعقل يبين لنا عدم تماسك هذه الصور ولكن الجمهور لا يرى ذلك، فالواقع أنه يخلط بين التضخيم الذي يلحقه بالحدث وبين الحدث ذاته، وبما أنه غير قادر على التميز بين الذاتي والموضوعي فإنه يعتبر الصورة المثارة في خياله بمثابة الواقعية والحقيقية، هذا على الرغم من أنها ذات علاقة بعيدة جداً مع الواقعة المرئية، ومن المتوقع أن تكون التضخيمات والتشويهات التي يلحقها جمهور ما بحدث ما يشهده شخصياً، كثيرة جداً وذات معان متعددة، وذلك لأن الأشخاص الذين يشكلون الجمهور ذو طباع شديدة الاختلاف والتنوع، ولكن الواقع غير ذلك أبداً، ذلك أنه بسبب العدوى، فإن هذه التشويهات هي ذات طبيعة واحدة ومعنى واحد بالنسبة لكل أفراد الجماعة، فأول تشويه يلحظه أحدهم يشكل نواة التحريض المعدي.